Habermas's Deliberative Structure of Discussion

Dr. Ghassan Alaa El-Din*
Itidal Al-Kafiry**

(Received 17 / 10 / 2024. Accepted 22 / 12 / 2024)

□ ABSTRACT □

Researching the deliberative structure of discussion according to Habermas must push us to trace the most important basic issues that Habermas addressed when he wanted to talk about the status of communicative actions that individuals establish among themselves in a deliberative framework in which they exchange viewpoints, opinions and ideas related to the issues they encounter in their daily lives that must be agreed upon and establish a rule of validity that shows to a large extent the importance of agreeing on those problems, which leads to solving them. However, this will not be possible unless there is a discussion at the public level that takes place among all segments of the people; a discussion whose steps are deeply and effectively established in a way that does not ignore people's goals and interests, because when those interests are ignored, this means the absence of justifications for public discussion that is supposed to ultimately aim to achieve a shared human life among individuals that achieves their freedom of speech and action alike, not to mention that it gives them a sense of reassurance, security and human dignity.

Keywords: Pragmatic structure, communicative acts, discussion, validity rule

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Professor - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Latakia - Syria.**
** **PhD student - Department of Philosophy - Faculty of Arts and Humanities - Tishreen University - Latakia - Syria. itidal.al-kafiry55@tishreen.edu**

البنية التداولية للمناقشة عند هابرماس

د. غسان علاء الدين*

اعتدال الكفيري**

(تاريخ الإيداع 17 / 10 / 2024. قبل للنشر في 22 / 12 / 2024)

□ ملخّص □

إن البحث في البنية التداولية للمناقشة عند هابرماس لابد أن يدفعنا لتتبع أهم المسائل الأساسية التي تطرق إليها هابرماس عندما أراد أن يتحدّث عن مكانة الأفعال التواصلية التي يقيمها الأفراد فيما بينهم في إطار تداولي يتبادلون فيه وجهات النظر والآراء والأفكار التي تتصل بالقضايا التي تصادفهم في حياتهم اليومية والتي يتوجب الاتفاق حولها وإنشاء قاعدة الصلوحية التي تبين إلى حد كبير أهمية الاتفاق حول تلك المشكلات الأمر الذي يفضي إلى حلها. ولكن ذلك لن يكون ممكنا مالم يكون هناك نقاش على المستوى العمومي الذي يجري بين جميع فئات الشعب؛ نقاش تتأسّس خطواته بشكل عميق وفاعل بطريقة لا تُغفلُ فيها أهداف الناس ومصالحهم، لأنه حين يتم إغفال تلك المصالح فهذا يعني انتفاء مبررات النقاش العام الذي يفترض أن يهدف في نهاية المطاف إلى تحقيق حياة إنسانية مشتركة بين الأفراد تحقق لهم حريتهم في القول والفعل على السواء، ناهيك عن أنها تمنحهم الشعور بالطمأنينة والأمان والكرامة الإنسانية.

الكلمات المفتاحية: البنية التداولية، الأفعال التواصلية، المناقشة، قاعدة الصلوحية

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **أستاذ – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**

** **طالبة دكتوراه – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.**

مقدمة:

إن المتتبع المتعمق والقارئ الحصيف لأفكار الفلاسفة منذ اليونان حتى أيامنا هذه لا بد أن يلاحظ بما لا تخطئه العين أن لكل فيلسوف نسق فلسفي يخصه دون غيره من الفلاسفة يتميز به ويعرف من خلاله حتى ولو كانت يمتلك مع غيره من الفلاسفة الكثير من المشتركات والقواسم الفلسفية، ولأن الأمر على هذا النحو فإنه لا غرو في أن تتغير وظيفة الفلسفة وتتعدد ادوارها من فيلسوف إلى آخر، وتتغير دلالات المفاهيم التي يبدعها الواحد منهما التي يعبر بمقتضاها عن روح العصر الذي يحيا فيه ويعالج المشكلات الطارئة والمستجدة في أهابه. ولذلك فإن الفلسفة لا تظل تمارس الوظائف نفسها أو تضطلع بالأدوار ذاتها، وإنما يتغير سياقها وتتعدد دلالات مفاهيمها وتصوراتها بطريقة ربما قد لا تمكن المتتبع من أن يستقصي جملة العوامل الخفية التي دفعت هذا الفيلسوف أو ذاك لأن يختار فلسفة بعينها ويبني صرحه المعرفي عليها.

فها هو هابرماس مثلا يأبى مزاجه الركون إلى وظيفة الفلاسفة عند اليونان ومن سار على هديهم، أولئك الذين انشغلوا بدراسة القضايا الميتافيزيقية التي تتناول قضايا ربما تبدو اليوم بعيدة عن عالم الإنسان ومشكلاته اليومية التي تحفل بقضايا ليست من طبيعة المشكلات التي عالجها فلاسفة اليونان وتصدوا لها. فليست الفلسفة على سبيل المثال عند الفيلسوف المعاصر هابرماس إلا الفكر. فما هي تلك الوظيفة إذا التي تبدو مغايرة نوعا ما لتلك التي اضطلع بها فلاسفة اليونان؟ وما سبب تلك المغايرة أصلا؟ وكيف تجلت تلك الوظيفة في سياق الفعل التواصلي عند هابرماس وعلاقته بالبنية التداولية للمناقشة؟

يسعى البحث إلى تقديم قراءة لما يسمى البنية التداولية عند هابرماس التي يعرض لها في سياق حديثه عن الأفعال التواصلية التي يخصص لها جزئين تدخل تحت ذات العنوان والتي يبين فيها كيف يمكن للأفراد أن يتبادلوا الأفكار والآراء فيما يخص القضايا التي يختلفون حولها، لأنها بالأصل تعبر عن مصالح متناقضة ومتغايرة. ولكن لأن ما يربط الأفراد بعضهم ببعض هو المشيئة المشتركة والرغبة العميقة في العيش المطمئن فإنهم – حسب هابرماس – فإنهم يتنازلون بأنفسهم عن جملة من الأفكار الخاصة بهم عندما يجدون بأم أعينهم أن ثمة أفكار أخرى أقترحها العقلاء ما بينهم تحمل من الحكمة والصلاحية ما يضمن للجميع فيما لو طبقت تلك الأفكار قدرا معقولا من الحياة الأمنة المطمئنة، والتي تمكّن الجميع أن يعيشوا بسلام يمنحهم الفرصة لأن يتفرغوا لإدارة شؤونهم الخاصة ورعاية مصالحهم شريطة ألا تتعارض تلك السلوكات مع المزاج العام للمجتمع الذي يحيون فيه. ولأن الأمر على هذا النحو، ولأن تحقق المصلحة العليا للمجتمع يعني بكل بساطة تحقق المصالح الجزئية للأفراد ضمن هذا الحد أو ذاك، فإن ذلك يقتضي أن تتأسس حالة من النقاش العام حول العديد من القضايا التي ما أن تبدو أنها جاءت حصيلة اتفاق وقبول حتى تتحول إلى أشبه ما يكون بالمعيار الذي ينبغي على الأفراد عدم نقضه أو الطعن فيه لأن ذلك يعرضهم للمسألة الأخلاقية من المجتمع الذي ينتمون إليه.

أهمية البحث وأهدافه:

يهدف البحث إلى الاطلاع على ما كتبه هابرماس حول البنية التداولية وما يتصل بها من مسائل تخص التواصل بين الأفراد الذي يعد خطوة لا غنى عنها لإقامة حوار عميق وشامل بين البشر حول قضاياهم المعاشة والتي لابد أن يتم الاتفاق حول طريقة التعامل معها وتجاوز كل ما ينتج عنها من مشكلات.

كما تكمن أهداف البحث في إظهار القيمة الفعلية لتعيّن الأفكار التي تكون حصيلة للاتفاق والحوار والتفاهم بين البشر، الأمر الذي يعني أن ثمة قبول لها من الأفراد الذين يحيون في مجتمع ما، حتى وإن اختلفوا في عقائدهم ومبادئهم. ناهيك عن أن أهداف البحث تتجلى في معاينة ما إذا كان هابرماس قد وفق في طروحاته تلك التي تتعلق بأهمية المناقشة، وما إذا كانت تلك المناقشة قادرة فعلا على أن تحقق القبول العام من غير خوف أو إكراه.

منهجية البحث:

في هذا البحث سوف نستحدم المنهج التحليلي لكي نتتبع الأفكار والنصوص التي أنتجها هابرماس للتدليل على ما يذهب إليه في سياق البنية التداولية للمناقشة. كما نستخدم المنهج النقدي لتحليل بعض النصوص وقراءتها والوقوف على مكمن الصحة فيها.

النتائج والمناقشة:

أولا: وظيفة الفلسفة في سياق البنية التداولية

في إطار النظر الهابرماسي للوظيفة التي يجب أن تكون عليها فلسفته التي تهتم بما هو ما بعد ميتافيزيقي نجد هابرماس يرفض فلسفة الوعي رفضا تاما ويستعيض عنها بفلسفة الذات التي تتفاعل مع العالمين، الطبيعي والإنساني في الوقت ذاته، وتشترك في الحوار مع الآخر وتتواصل معه حول العديد من المشكلات الحياتية التي لا يمكن للفرد كائنا ما كان أن يقفز فوقها أو يتجاوزها نظرا على أنها تتصل بشكل عميق بتفاصيله اليومية التي يحياها مع اقرانه بصرف النظر عن الانتماءات والعقائد والديات التي يعتنقها هؤلاء الأفراد ويؤمنون بها.. ولذلك فإن هابرماس يوجه نقدا قاسياً للفلسفة الترانسنتدالية التي أسس لها كانط، في ذات الوقت الذي عمل فيه على تجاوز جدل هيجل، لأن هاتين الفلسفتين كما يصنفهما هابرماس تدخلان في عداد فلسفات الوعي التي تقصي الذات وتنأى بصاحبها بعيدا عن الفاعلية والتواصل مع الذوات الأخرى، الأمر الذي دفعه لأن يمنح للفلسفة وظيفة أخرى غير تلك التي قصدت إليها تلك الفلسفات المثالية التي أرادت بناء أنساق فلسفية تغرّب الإنسان وترمي به في وهدة النسيان؛ نسيان نفسه من ناحية، ونسيان الآخر من ناحية أخرى. ولكن ذلك لا يعني أن هابرماس لم يستفد مما قدمه أصحاب نظريات فلسفة الوعي من أفكار وما دافعوا عنه من تصورات، فها هو يأخذ بنظرية الحداثة التي قال بها كانط، على الرغم من انه لم يقف عندها فقط بل طورها لتتحول إلى نوع من النقد الذي يسهّل له الانتقال من فلسفة الوعي إلى فلسفة الذات التي يمكن النظر إليها على أنها أدخل بالثقافة وأنساقها منه بنظرية المعرفة التي أولاها كانط عناية فائقة ليبني وفقها منطقا يعد بمثابة المدخل الأساسي لفلسفته بجملتها.

وهذا التمايز ما بين الطريقة التي مهد بها هابرماس لفلسفته التي غطت حقولا واسعة من أنواع المعارف وما بين الفلسفات المثالية التي اطلع عليها بشكل عميق ليعيد إنتاجها بطريقة جديدة مكنه النقد من تجاوزها – أي الفلسفات المثالية أو ما يسمى فلسفات الوعي الذاتي– إلى غيرها، بما يرتقي إلى تحقيق غايات تخالف تلك التي كان أصحابها يقصدون الوصول إليها. هذا التمايز والاختلاف بين فلسفات الوعي وفلسفات الذات هو الذي دفع بقرّاء هابرماس لأن يقسّموا فكره إلى طورين مختلفين **<< يندرج الأول منهما في ما يسمى الطابع التحليلي الإبستمولوجي ، وهو ما تمثل بشكل رئيسي في مؤلفاته عن " التقنية والعلم كأيديولوجيا " و"الرأي العام" ناهيك عن كتابة " المعرفة والمصلحة"**

الذي أصدره عام (١٩٦٥م) حيث حاول في هذا الكتاب أن يسلك مسلكا تأثر فيه بكل من كانط وماركس، حيث اتبع طريقة العرض الجينالوجية في تعاطيه مع العلوم الطبيعية والإنسانية الحديثة على حد سواء ، من خلال البحث عن الظروف الاجتماعية والتاريخية المعرفية والتاريخية التي أدت لنشأة هذه العلوم >>[1]

أي أن هابرماس في هذا الطور لم يكن قد تحرر من سيطرة فلاسفة الوعي، وكان ما يزال متأثرا بما قدموه من مفاهيم وتصورات كان لها حضورا قويا آنئذ، وهو ما يعني أن التحرر من سطوة هؤلاء الفلاسفة كان يحتاج إلى شجاعة نادرة من فيلسوفنا لكي يتمكّن من أن ينتقل إلى الطور الثاني حينما قطع صلته مع ما يسمى بفلسفة التأمل الذاتي التي كان رائداها كانط وماركس، ووجه للقائلين بها نقدا قويا لكي يفتح السبيل لولادة ما أطلق عليه فلسفة العقلانية التواصلية. التي تمثلت في مؤلفاته **<< نظرية الفعل التواصلي "بجزئيه، و" الوعي الأخلاقي والفعل التواصلي" و "الخطاب الفلسفي للحداثة" وهي الأعمال التي توجت مشروعه الفلسفي ... وسعى إلى تأسيس نظرية نقدية جديدة تهدف إلى هدم فلسفة الذات وفلسفات الوعي المتمركزة حول العقل من ناحية، وإلى وضع الأسس النظرية لفلسفة تدور حول التواصل من خلال اللغة من ناحية أخرى>>[2]**

بيدا أن هابرماس لم يكن يريد أن يتجاوز فلسفة الوعي التي كان يمثلها رهط كبير من الفلاسفة الكبار مالم يؤسس جيدا لذلك الانتقال من خلال ما أطلق عليه اسم إتيقا المناقشة، التي كانت كفيلة لوحدها بأن تمهد السبيل لولادة فلسفة عقلانية تواصلية تقصد بالدرجة الأولى لخلق مناخات حوارية مناسبة للتواصل بين الأفراد والجماعات بصرف النظر عن انتماءاتهم العقائدية والدينية أو أيديولوجياتهم. ولكن السؤال هاهنا، كيف أسس لتلك الحالة إذا؟ وماهي اهم الأسس الناظمة لتأسيس مثل هذه البنية الملائمة لتوطين الحوار وخلق الشروط الضرورية لإقامته؟ وهل تعد هذه الحالة أصلاً، والتي أعلى هابرماس من شأنها وأفرد لها مساحة واسعة في كتاباته المتنوعة، بديلا عن تلك البيئة التي ولدت فيها فلسفة الوعي، أم أن ذلك الأمر لم يكن بالنسبة لهابرماس إلا مجرد تغيير في وظائف فلسفته الاجتماعية وتمييز لها عن غيره من الفلسفات الأخرى؟ لا سيما وأنه كان أقرب إلى حقل السيسيولوجيا الاجتماعية التي تستوعب الحوار وتتوافق معه أكثر من قربه من الفلسفة التي تسعى إلى إنتاج المفاهيم والتصورات بشكل نظري مجرد بعيدا من غير أن تتشغل بتعيّناتها في الواقع الفعلي. وهابرماس يشير صراحة إلى أن المفاهيم النظرية لابد لها من أن تتصل بواقع فعلي يسبق إنتاجها. وقد قال في هذا السياق: **<< إن المفاهيم النظرية التي في نطاقها يشكل عالم الاجتماع فرضياته، غنما ينبغي بوجه معين أن تقترن بالمفاهيم قبل النظرية التي في نطاقها يتأول المنتمون وضعيتهم وسياق الفعل الذي يشاركون فيه>>[3]**

ولكن القول بانتقاد هابرماس لفلسفات الوعي وتجاوزه لها ومهاجمة مؤسسيها لا يعني بأي حال أن مهمته تلك لم يسبقها محاولات عدة من بعض ممثلي الأنساق الفلسفية الأخرى، وذلك قبل أن ينبري للتصدي لتلك المهمة العسيرة التي اربكته كثيرا نظرا لما كانت تمتلكه تلك الفلسفات من انتشار وما يتمتع به الفلاسفة المدافعين عنها من حضور ومقبولية. وقد عبر هابرماس عن ذلك بقوله: **<< إن نموذج الذات – و– الموضوع الذي قامت عليه فلسفة الوعي قد تمت مهاجمته في بداية القرن العشرين عل جبهتين اثنتين: من جهة فلسفة اللغة التحليلية ومن جهة نظرية السلوك**

---

[1]- أبو السعود، عطيات، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021، ص 87.

[2]- المرجع السابق نفسه، ص 87.

[3]- هابرماس، يورغن، نظرية الفعل التواصلي، المجلد الأول، ترجمة فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، د، ت، ص ٢٤٩.

النفسانية. كلتاهما تخلّتا عن الولوج المباشر إلى ظواهر الوعي وعوّضتا معرفة النفس الحدسية أو الاستبطان بطرائق إجرائية لا تستدعي الحدس. وهما تقترحان تحليلات تتعلق بالعبارات اللغوية أو بالسلوك الملاحظ وتظلّ مفتوحة أمام الاختبار البينذاتي >>[4].

أي إن ما فعله هابرماس في التأسيس لفلسفة الذات والدفاع عنها بوصفها فلسفة قادرة على خلق آليات للتواصل البيذاتي التي تعتمد الحوار والمناقشة بما يسمح للأفراد أن يتفاهموا على الكثير من الأشياء المشتركة بينهم ويتفقوا عليها، وهو ما يجعل حياتهم أيسر وأسهل في ظل وجود مبدأ للحوار يكون بمثابة الأساس الذي تنبني عليه جملة المبادئ الأخلاقية والقانونية في أي مجتمع، **<< أصبح من الضروري الآن أن يكون انبثاق المبدأ الأخلاقي والمبدأ القانوني من مبدأ الحوار المحايد أخلاقياً كأصل مشترك، وذلك بالطريقة ذاتها لتلك التي يتمايزان بحسبها تاريخياً انطلاقاً من الحياة الإتيقية الجوهرية>>[5]**. هذه الإتيقا التي عمد هابرماس للدفاع عنها بوصفه قيم وسلوكات تنفصل عن المتعالي والقبلي والمعياري الذي تقوم عليه الأخلاق بعامة، وهذا لا يتم من خلال الوقوف على بنية العقل ووظائفه فحسب، وإنما بأن يتصدى المفكر أو الفيلسوف – كما يعتقد هابرماس – لنقد العقل الأداتي الذي سيطر على الغرب لفترة زمنية طويلة في ظل النظام الرأسمالي مما أدى لاغتراب الإنسان عن ذاته وإحساسه بأنه مجرد ريشة في مهب الريح ليس إلا.

في سياق هذا الفهم نجد أن هابرماس نفسه يتخلى في مرحلة ما من مراحل تطوره الفكري عن القول بالنظرية النقدية لأنه يكتشف فيها الكثير من العيوب ونقاط الضعف الأمر الذي قاده إلى تجاوزها وخاصة عندما تبين له أنها تفتقر إلى ما يسمى **<<الأسس المعيارية للنقد، واقتصارها على نقد مفهوم العقل الأداتي بغير ان تتجاوزه إلى نظرية نسقية وتبنيها لمفهوم الحقيقة عند هيجل مع انه لا يتفق مع قابلية البحث العلمي للخطأ. وعدم اخذها على مستوى النظرية السياسية–الديمقراطية مأخذا جاداً، كل هذا دفعه إلى البحث عن دماء جديدة تغذي النظرية النقدية، وتتلافى أوجه القصور فيها بوضع نظرية في الفعل التواصلي تكون "بديلا عن فلسفة التاريخ التي عولت عليها النظرية النقدية المبكرة>> [6]**

دافع هابرماس إذا عن العقل والعقلانية وحاول أن يتلافى نواقص النظرية النقدية التي أمن بها في المرحلة الأولى من حياته ليتجاوزها لاحقا عندما آمن أن للعقل دورا بارزا وأساسيا يتجلى من خلال مساهمته في التأسيس لنظرية اجتماعية نقدية جديدة يمكن لها ان تستوعب نقاط ضعف النظرية النقدية الأساسية التي اكتفت بنقد العقل الأداتي من غير أن تنشغل بتأسيس نظرية جديدة تأخذ بحسبانها إيجاد السبل اللازمة لخلق أطر ملائمة لاستيعاب الحوار العقلاني الذي يقوم بين البشر، وهو الامر الذي قاده إلى تتبع سياق الحداثة والظروف التي انتجتها ودعت إليها وأدت بالتالي إلى ولادتها في الغرب أولاً ، ولكن هابرماس لم يفعل ذلك لأنه مقتنع بالحداثة أو بالوظائف التي اضطلعت بها والدور الذي انشغلت به، وإنما لأنه على الضبط يريد أن يتجاوزها لكي ينتقد جملة التيارات الفلسفية المضادة لها، والتي عُرِفت بتيارات ما بعد– الحداثة بكل ما تنطوي علية من نزعات تفكيكية مناقضة للعقل.

أي أن هابرماس وفق هذا المعنى لم يكن مع أنصار الحداثة ولا مع أولئك الذين وقفوا ضدها، وذلك لأنه ببساطة كان يريد أن يشترع لنفسه سياقا جديدا يهيئ للعقل بمقتضاه من أن يضطلع بوظائف جديدة مغايرة لتلك التي قال بها الكثير

---

[4] نظرية الفعل التواصلي، مج2، هابرماس ، مصدر سبق ذكره، ص 25.

[5] العلاقة بين الأخلاق القانون والديمقراطية، فلسفة الحق عند هابرماس من وجهة نظر التداولية الترانسندنتالية، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ترجمة عبد العزيز ركح، ص 402

[6] الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص 89

من الفلاسفة الذين سبقوه، فالعقل إذا لا يجب أن يحجّم ويضعف دوره، بل على العكس من ذلك يجب أن يفعّل بقوة لكي تناط به وظائف جديدة، تتناسب مع مكانته ودوره، ولذلك نجد أن هابرماس يرفع الشعار القائل: **بأن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد.** وقد عبر صاحب كتاب الحصاد الفلسفي في القرن العشرين عن ذلك بمهارة حيث قال: **<< ينبغي ان يكشف العقل عن وحدة لحظات العقل المتفرقة في نقد كانط الثلاثي: وحدة العقل النظري مع البصيرة الأخلاقية والحكم الجمالي >>**[7].

وهذا التوحيد بين تلك الملكات الثلاث التي قال بها كانط هي ما يؤسس لما يسميه هابرماس العقلانية، التي سيستقر لاحقا على تسميتها التداولية العقلانية التي تستوعب نواتج الحوار الذي يقوم به الأفراد والجماعات في المجتمع في سياق نشاطاتهم التواصلية المستمرة، وتحيل تلك النواتج إلى سلوكات وأفعال تفيدهم في حياتهم اليومية وتمكّن الواحد منهم من أن يحقق أهدافه وما يرمي إلية مع حفاظه على علاقات تواصلية تستهدف تحقيق الخير العام للبشر من غير أن تنسف تلك المقاصد الفردية أو تقصيها تلك التي تتكشف على الدوام في إطار التجربة التواصلية.*

إن إمكانية التفاهم* إذا وتحققها لابد أن يكون من خلال << **استخدام الأسباب أو الحجج التي تساعد على الحصول على اعتراف الذوات فيما بينها بمزاعم أو مطالب الصدق القابلة للنقد>>**[8]

فهذا المعنى الذي يمنحه هابرماس لمفهوم العقلانية يدل على أن العقلانية لا يدل على المثقف أو العالم أو المتبحر في علوم المعرفة فحسب، وإنما قد تدل على أي شخص يستخدم الأدوات المناسبة للوصول إلى تفاهم مع أقرانه من البشر لتحقيق مقاصد حياتية تنعكس فائدة على المجتمع الذين يحيا فيه ذلك الشخص، وهذا لا يتحقق البتة مالم تلقى أفكار وأساليب الفرد قبولا من الذوات الأخرى الفاعلة في المجتمع التي تسعى على الدوام لتحقيق صدقية معينة فيما بينها. فالمعرفة هنا لا تتعلق بكم المعرفة التي يحصلها الفرد كائنا ما كان، وإنما تتوقف على الطريقة التي يكتسب بها المعرفة

---

[7] **- Habermans, J: The Theory of Communicative Action Trns. By Thomas McCarhy. Boston. Beacon Press VI. 1984. p. 99.**

***– لقد ذكر صاحب كتاب، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين ستة شروط ينبغي توافرها لأقامه التجربة التواصلية هي: << ١– أن النشاط التواصلي لن يتم إلا من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعيش، ولذلك فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن اعترافه بمزاعم أو مطالب الصدق المتفق عليها .**

٢ –أن تهدف التجربة التواصلية إلى اتفاق بين الذوات المشاركة في التفاعل

٣–إذا تشكك أحد المشاركين في التواصل في الدقة المعيارية لعبير ما، أو غذا تعرض أحد مزاعم الصدق للشك، أو لم يستطع المشاركون في التواصل تبريره او الدفاع عنه بالحجج العقلية، فإن مزاعم الصدق نفسها تصبح موضع سؤال، وربما يختل التواصل او يتوقف.

٤ –يفترض المشاركون في التواصل أن الحوار له " قواعده الأخلاقية التي من أهمها توافر ظروف تضمن الإجماع الذي لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الأطروحة الأفضل

٥– ان يتاح لكل مشارك في الحوار فرصه مساوية لسائر المشاركين، وأن يتمتع كل منهم بحق التأكيد او الدفاع أو التساؤل حول ما يراه من قبول أو رفض لمزاعم الصدق وفق المعايير المعترف بها.

٦ –أن يعبر كل مشارك في التواصل عن مزاعم الصدق والقدرة على تبريرها للمشاركة في عملية التفاهم المتبادل (ضرورة توسيع الشرح ووضع شاهد مناسب من هابرماس

ص ٩٨، ٩٩، الحصاد الفلسفي،

***– << إن التفاهم إنما يعني اتفاق المشاركين في التواصل حول صلاحية تلفظ ما، وإن التوافق هو الاعتراف البينذاتي بادعاء الصلاحية الذي رفعه المتكلم في شانه>> هابرماس، نظرية الفعل التواصلي، مج٢، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠٨**

[8] **-Habermas, J: The Theory of Communicative Action V1. p. 106**

من جهة، ناهيك عن الطريقة التي ينشر بها تلك المعرفة في المجتمع ويحيلها عبر الوسائل التواصلية إلى معرفة تمكن الآخرون من التواصل معه وقبوله عبر تلك المعرفة التي يحيلها إلى وقائع منتجة ونافعة .ففي العقلانية **<< لا يهم امتلاك المعرفة بمقدار ما تهم الطريقة التي بها تقوم الذوات القادرة على الكلام وعلى الفعل باكتساب المعرفة واستخدامها، >>**[9]

أي إن شرط التأسيس المنطقي الذي يساعد في خلق المناخ الصحيح لبنية تداولية تمتّن الحوار وتسهم في إقامة متطلبات المناقشة– التي يعلي هابرماس من شأنها كثيرا عندما يتحدث عن نظرية الفعل التداولي في أكثر من موضع، وخاصة في كتابه نظرية الفعل التواصلي بجزئيه؛ الأول والثاني على حد سواء– إن هذا الشرط ما هو إلا الاتصاف بالعقلانية بالمعنى الذي يقصد إليه هابرماس، والذي يعقد أواصر علاقة قوية مع ما يسمى المعيارية التي يبدو أن هابرماس كما يرى مترجم كتابه نظرية الفعل التواصلي" في تقديمه للكتاب **<< لم يبن مقاربته للتداولية الكونية (التي تهدف إلى إعادة بناء شروط التفاهم الممكن بين الذوات) إلا من أجل الدفاع عن موقفه المعياري؛ وهو في واقع الأمر موقف " مجموعة مخصوصة جدا" لا تتعدى" الأعضاء الأكفاء للمجتمعات الحديثة، حيث يشير الكفء إلى الذات من صنف الكهول، التي تعلمت كيف تمايز بين ادعاءات الصلاحية الثلاثة وسيطرت على بنية العوالم الثلاثة) الموضوعي، الاجتماعي، الذاتي) للتواصل. >>**[10]

أي أن الموقف المعياري لدى هابرماس لا يتحصّل عليه إلا نخبة مخصوصة في المجتمع هي من ينبغي الرجوع إليها بوصفها المثال الأعلى في المجتمع الذي يفترض بالعقلاء أن يتمثلوها ويقتدوا بها– أي النخبة – أثناء حراكهم التواصلي المبني على قاعدة المناقشة التي في حال قيض لها أن تتجسد في صورتها المثلى فسوف تمكّن الأفراد من بناء العالم المعيش وعقلنته باعتباره الأرضية التي تتأسس عليها الأفعال التواصلية التي يقوم بها الأفراد من خلال التعبير عن أنفسهم بحرية تامة. ومن هنا فإن إعطاء أفعال التواصل القيمة العليا في مؤلفات هابرماس التي تتحقق في إطار ما أسماه العقلانية – التي تتطلب لكي تتحقق نسقا اجتماعيا ديمقراطيا ينضوي تحته الجميع من غير استبعاد أو تهميش لأي فرد حتى لو بدت أفكاره في بعض الأحيان شاذة أو خارجة عن السياق المجتمعي العام– فإن ذلك سيحقق الغاية المرجوة في الوصول إلى أعلى درجة عالية من التفاهم بين أفراد المجتمع. فهابرماس هاهنا يسعى إلى إقامة نظام أخلاقي يحاول من خلاله التوصل لمعايير عامة ومقبولة عبر نقاش عقلاني حر، ناجم عن إرادة مجتمعية عامة، وهو ما يعني العمل على تأسيس نظام عن طريق القبول والرضا لا عن طريق القوة أو القسر، الأمر الذي يسهم في نشر فكرة الديمقراطية التي تكفل لكل فرد الحق في أن يقول رأيه من غير مواربة أو خوف.

يسعى هابرماس إذا في مشروعه الفلسفي الذي يمتح من معين المجتمع وتطلعاته وأهدافه إلى تأصيل مقصده التواصلي الذي يريد الوصول إليه من خلال ثلاثة أنساق أساسية، الأول اجتماعي يؤسس لبنية الحوار ويسهم في نشره عبر العمل على خلق الشروط المناسبة لإقامته بين جميع فئات الشعب، والثاني أخلاقي يرتبط بالمعيار الذي يتوق الأفراد لتمثله والاقتداء به من جهة عمومية تلك القيم الأخلاقية التي يُنظر إليها بوصفها قيم عليا ومعايير متفق عليها وتمتلك مشروعية كبيرة كونها تخضع لمعيار الصلوحية. والثالث وهو الوصول عبر النسقين الأوليين إلى ما يسمى المجتمع السياسي الذي تتوطّن فيه الديمقراطية بما يهيأ للفرد أن يجاهر برأيه من غير أن يخشى اللوم والانتقاد، فالفرد يشعر هاهنا بحريته من جهة أن بمقدوره أن يسلك بمقتضى إرادته على ألا يؤدي ذلك لإيذاء الغير أو التقليل من

[9]- هابرماس، يورغن، نظرية الفعل التواصلي، مج١، ص 79.
[10]- المصدر السابق نفسه، مقدمة المترجم، ص 44.

حرياتهم، لأن الغاية القصوى التي يرجوها هابرماس من خلف ذلك هي الوصول إلى تفاهم عام بين الذوات الفردية التي تتقاطع مصالحها في العالم المعيش بطريقة يصعب فهمها. والتفاهم الذي يقصد إليه هابرماس ويسعى لترسيخه بقوة هو ذاك الفعل العقلي الذي تتفق عليه الذوات الفاعلة العاقلة من خلال أفعال الكلام المعبر عنها عن طريق اللغة. ولكن التفاهم بهذا المعنى لن يكون ممكنا، أي لن يقيض له تحقيق غرضه ومبتغاه إلا عبر السير وفق مستويات ثلاثة يتوجب على المشاركين احترامها والنظر لها بجدية، وكأن على الفرد وفق هذه الحالة عندما يتناهى إليه تعبير ما أن يخضعه لخطوات ثلاث تتساوق مع تلك المستويات الثلاث التي يفترض أن يخضع لها التعبير ليصبح صالحا للتواصل والفهم. وقد عبر نور الدين أفاية عن ذلك التسلسل في الفهم بالقول: **<< ولهذا فإن المستمع يفهم التعبير أولا، أي يدرك دلالة ما يقال، ثم يتخذ هذا المستمع موقفا بالإيجاب أو السلب، بالقياس إلى ادعاء معلن من فعل الكلام ثانيا، أي أنه يقبل أو يرفض العرض الذي يقترحه فعل الكلام. ونتيجة اتفاق ما يوجه المستمع فعله حسب المتطلبات القائمة بشكل توافقي ثالثا>>** [11].

ولكن هل يخضع كل تعبير يسمعه الفرد حقاً لهذه السلسة من الخطوات التي تتدرّج من الاستماع إلى الفهم وصولا إلى الاتفاق الذي تسيطر عليه معيارية معينة تكون منه بمثابة المرشد الذي يجعل الافراد يقبلون بما يومئ إليه هذا التعبير، على اعتبار ان الأخير يجعل حالة التواصل مبررة ومقبولة عقليا؟ أم أن هناك الكثير من التعابير التي يقبلها الأفراد من غير أن يكون بمقدورهم اخضاعها لهذا التسلسل المنطقي، ليستعيضوا بدلا منه بشيء من الإضمار ما داموا يعتقدون أصلاً أن مواهبهم العقلية لا تسمح لهم بأن يقوموا بهذا التحليل، بل أنهم في كثير من الأحيان لا يجدون مبررا لفعل ذلك مادامت هذه التعابير متداولة ومفهومة في المجتمع، وهذا يعني أنها قد خضعت لمبدأ الصلوحية الذي يتحدث عنه هابرماس والذي تلعب النخب الثقافية دورا فاعلا في إقامته والدفاع عنه.

ثانياً: الأفعال التواصلية والعالم المعيش

إن النظرية الاجتماعية التي تومئ إلى الأفعال التواصلية التي ذهب هابرماس إلى القول بها ودافع عنها بصرف النظر عن المصدر الذي تستند إلية وتتبع منه، سواء نسبت إلى عالم الاجتماع هذا او ذاك أولئك الذين آخذ عنهم هابرماس ومن ثم طور نظرياتهم وأضاف إليها الكثير من الأفكار والآراء التي تتصل إلى حد كبير بنظريته عن المناقشة التي تجري بين جميع مكونات الشعب الذين يريدون الوصول إلى الأهداف ذاتها بطرق متنوعة، فالمصلحة هي ما يجمعهم قبل أي شيء آخر. إن أي نظرية أراد هابرماس أن يتبناها ويجادل حول صحتها لا بد أن تجد جزءا كبيرا من ارتباطاتها في العالم المعيش الذي يحيا فيه الأفراد ويسعون فيه إلى تحقيق أهدافهم وطموحاتهم، بمعنى آخر إنها –أي نظرية الفعل التواصلي – تستمد شرعيتها بالضرورة من العالم المعيش، وهو ما يشير في نهاية المطاف إلى المكانة الرفيعة التي يشغلها العالم المعيش عند هابرماس الذي تعد **<< الحياة اليومية أحد الأبعاد المهمة في فلسفته التواصلية، وترتبط نظرية الفعل التواصلي بالعالم المعيش ارتباطا أساسيا باعتباره الخلفية الكامنة وراء كل مشارك في التواصل، وباعتباره ايضا السياق الذي يمكن أن يساعد على حل مشكلات الفهم، فأعضاء أي تجمع اجتماعي يشاركون في العالم المعيش الخاص بهم. >>** [12]

[11]- محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج «هابرماس» الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 1991، ص 105.

[12]- الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص ١٠٧.

لقد سعى هابرماس عبر مؤلفاته المختلفة المواضيع والمتنوعة الأفكار أن يبين ان العالم المعيش الذي يطرح فيه الأفراد أفكارهم ويطرحوا أراءهم من خلال مناقشة يقدم كل فرد في سياقها وجهة نظره فيما يريد أن يكونه ويصير إليه، من غير أن يكون لواحد منهم الغلبة إلا من جهة صلاحية أفكاره للتعميم التي تحظى بالقبول والاستحسان من الجميع. وهذا العالم المعيش بالنسبة لهابرماس يرتبط بعوالم ثلاثة تتجسد في الثقافة والمجتمع والشخص.

وهذه العوالم الثلاث تتواشج مع بعضها بعض من خلال علاقات تواصلية يحياها الأفراد ويعبرون في أتونها عما يريدون فعله في الواقع الذي يعيشون فيه والذي تظهر فيه سلوكاتهم بوصفها مشيئة عامة تعبر عن رؤية مشتركة يتقاسمونها حتى لو اختلفت طريقة التعبير عنها حسب مستوى الثقافة أو البيئة التي يحياها الفرد، ناهيك عن علاقتها بمستوى الحضور الشخصي الذي يتعرض أثناء تطوره لعوامل كثيرة يذكرها هابرماس في أكثر من موضع من مؤلفاته. وهذا الأثر الذي يتركه ذلك التفاعل بين تلك العوالم الثلاثة هو الذي يُظِهر ما إذا تمت بالفعل عقلنة العالم المعيش أم لا، تلك العقلنة التي تظهر هاهنا في إطار الممارسة الناضجة الذي تجري فيها الوظائف المتنوعة التي تشكل بمجملها ما يطلق عليه هابرماس الأفعال التواصلية .

فلا يمكن والحال هذه بناء أي نظرية في المجتمع يمكن أن تساعد في إلقاء ضوء على العالم المعيش الذي يحيا فيه الأفراد والجماعات ويتواصلون مع بعضهم بعض. مالم نقف عند حدود ما كان يسميه هابرماس العقلانية الغائية التي تتحدد أهداف وغايات الأفراد في سياقها، كذلك لا يمكن بناء مثل هذه النظرية – التي حرص هابرماس بقوة على بنائها مستفيدا من المدارس الاجتماعية التي اهتمت كثيرا بذلك – فيما لو قنعنا بالوقوف عند تخوم العقلانية التواصلية فقط. ولذلك لا بد أن نأخذ بالعقلانيتين بالآن ذاته لننتقل من الواحدة إلى الأخرى كلما كان الأمر يحتاج لذلك. لأن العالم المعيش الذي لا يمكن فهمه إلا انطلاقا من الانتاج المادي له لابد أن تتدخل في تحقيق شروطه العقلانية الأداتية بوصفها تمثل صياغة للأفعال المادية التي تلعب دورا فاعلاً في بناء الأساس الذي ستتأسس عليها العقلانية التواصلية التي ستهتم بمسائل الثقافة والأخلاق، خاصة بعد أن تكون قد تحققت الشروط المادية المناسبة لذلك من خلال الفعل الأداتي. فهنا، وفي خضم العالم المعيش تتضافر الأفعال الأربعة* التي تحدث عنها هابرماس لتشكيل واقع الأفراد وفق ما يصبون إليه من شروط مادية وأهداف ينشدونها في سياق تواصلي يفضي بهم للتفاهم المشترك حول العديد من الأشياء والحوادث التي تعرض لهم في واقعهم اليومي المعاش بوساطة جملة من الرموز اللغوية وغير اللغوية التي تكون بمثابة دلالات تسهّل الحياة المشتركة فيما بينهم وتيسر لهم بلوغ أهدافهم المرجوة.

*** – هذه الأفعال الأربعة عند هابرماس هي:**

<< 1– الأفعال الغائية. فأنه يمكن أن يحكم عليها من جانب نجاعتها. وتجسد قواعد الفعل المعرفة القابلة للاستعمال تقنيا واستراتيجيا التي يمكن نقدها بالنظر إلى ادعاءات الحقيقة والتي يمكن تحسينها مع نمو المعرفة التجريبية– النظرية. وهذه المعرفة هي مخزنة في شكل تكنولوجيات واستراتيجيات

2– أفعال الكلام التوصيفية :التي من شأنها ليس أن تجسد المعرفة فحسب، وإنما أن تعرضها في شكل صريح وأن تجعل عمليات التحادث ممكنة، فأنه يمكن أن يتم نقدها من جانب الحقيقة

3– الفعال المعدلة بمعايير فهي تجسد معرفة عملية–خلقية. وهي يمكن أن يتم التنازع فيها من جانب السداد

4– الأفعال الدرامية فهي تجسد معرفة عن الذاتية الخاصة للفاعل في كل مرة. وهذه التعبيرات يمكن أن تنقد بوصفها غير صادقة، وذلك يعني أن يتم ردها بوصفها مخادعات او مخادعات ذاتية. والمخادعات الذاتية يمكن حلها او إذابتها في أثناء المحادثة العلاجية من طريق الوسائل الحجاجية >> نظرية الفعل التواصلي، مج١، هابرماس، مصدر سبق ذكره، ص ٥٣٢، ٥٣٣.

إن اهتمام هابرماس بالحداثة الغربية لم يكن إلا بغاية نقدها لأنها توقفت عند حدود النشاطين الغائي والأداتي، وتجاوز ذلك إلى الجانب المهمل الذي غادرته من غير أن تشغل بالها فيه، ومن هنا نراه يقدم تفاصيل وأفكار هامة في إطار النشاط التواصلي الذي يفترض جملة من المعايير الاخلاقية والقيم الانسانية التي تغافلت عنها الحداثة الغربية عندما انشغلت بالإنتاج المادي للعالم الذي أفقر حياة الإنسان الروحية من خلال تسليعه للأشياء ونسيانه مشروعه الاخلاقي الذي تستحيل الحياة من دونه. والمفارق هاهنا أن هابرماس حاول بكل أدواته ووسائله الاجتماعية والفلسفية أن يؤكد على أن عالم الحياة اليومية لا يُختزلُ في نشاط دون الأخر وإنما لابد من الأخذ بعين النظر أن كل نشاط سيفضي إلى الأخر بما يؤدي إلى تضافر هذه النشاطات مع بعضها بعض لأثراء التواصل اليومي **<< الذي لا يوجد فيه أبدا تعبير قائم لذات نفسه، بل يتراكم فيه مضمون دلالي يأتيه من السياق الذي يفترض المتكلم فهمه من السامع. كذلك ينبغي على المؤول أن ينفذ عميقا في سياق الإحالة هذا باعتباره شريكا مساهما في التفاعل. وأن اللحظة الاستكشافية ، المصوبة نحو المعرفة، لا يمكن أن تفصل عن اللحظة الابداعية، البنائية، المصوبة نحو تحقيق إجماع ما>>**[13] فهذا التواصل اليومي هو الوسط المناسب والحقيقي الذي يتم فيه إعادة الانتاج الرمزي، حيث يعترف الواحد منهم بصوابية رأي الآخر وبصدق أقواله ، كيف لا وهم ينتمون جميعهم لثقافة واحدة تتحدد في سياقات لغوية دقيقة ومحددة تحيلهم إلى لحظة الفهم والتفاهم بوصفهم ذوات لا يمكن لها أن تعايش واقعها وتفكر فيه وتحياه من غير الاتفاق الضمني أو الصريح على تداولية معينة للأفعال والنشاطات بما يفضي إلى حوار دائم يسهم في خلق واقع يمكن قبوله والتعامل معه.

ثالثاً: كيف يمكن عقلنة العالم المعيش عند هابرماس؟

ولكن، إذا كانت العقلانية مسألة على غاية من الأهمية عند هابرماس، ونقصد هنا عقلنة الواقع المعيش الذي تتم في سياقه أفعال البشر وتظهر في آهابه الآليات التي يسلكون بمقتضاها لتصبح أفعالهم موضع تطبيق وتعين وفق هذه الحال أو تلك. إذا كان الأمر على هذا النحو، كيف تتم عقلنة العالم المعيش كما يرى هابرماس؟ وهل هذه العقلنة ممكنة فعلا؟ أم أن الأمر ليس إلا مجرد أمنية لا سبيل إلى تحققها البتة، لأن الأفراد لا يفعلون في الواقع سوى السعي لتحقيق أغراضهم وحاجاتهم من غير أن يشغلوا أنفسهم بالطرق التي تتحقق من خلالها هذه الأهداف؟

الواقع أن فعل العقلنة الذي يقصد إليه هابرماس ويتوق لتعيينه في الواقع بوصفه الطريق الأسلم لكي تتحقق تواصلية الأفراد في إطار ما كان يسميه تداولية المناقشة، وعلى الرغم من الصعوبات التي قد تعترض قيامه إلا أن هابرماس قد ذهب إلى القول بضرورة الاستعانة بثلاثة عمليات أساسية لا تنفصل عن بعضها بعض لكي يكون من الممكن بناء مجتمع عقلاني يتطابق مع ما يريده هابرماس ان يكون. وهذه العمليات هي: << **العملية الأولى إعادة التحليل النقدي للمعرفة، وتقتضي الثانية تأسيس قيم ومعايير مجتمعية جديدة، أما الثالثة والأخيرة فهي تهتم بتنشئة ذات إنسانية قادرة على تحمل مسؤولياتها، وعلى تأسيس هويتها الذاتية >>**[14]

وكأننا هنا إزاء ثلاثة عمليات متكاملة تشكل الواحدة منهما مدخلا يفضي إلى العملية التي تليها بما يفضي إلى إنتاج سياق عقلاني يقبله الأفراد ويدافعون عنه لأنهم يجدون فيه ببساطة واقعا يحققون بمقتضاه أهدافهم الإنسانية ضمن هذا الحد أو ذاك وبما يجعلهم يفهمون بعضهم بعضا من خلال تواصل لغوي يعد وسيطا لا غنى عنه لكل عملية تواصل

[13]- **نظرية الفعل التواصلي، مج١، هابرماس، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥٣.**

[14]- **الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص 111.**

بين الأفراد تتأسس من وجوه عدة هي نواتج للفعل التواصلي كالتفاهم والتنسيق والفعل الاجتماعي التي ينظر إليها بجملتها على أنها **<< ممتدة الجذور في العناصر البنائية المكونة لأفعال الكلام (القضايا التقريرية– أفعال القول، الأقوال التعبيرية، هذه التطابقات البنائية تتيح للفعل التواصلي أن يؤدي وظائفه المختلفة، وأن يصبح وسيطا إعادة الإنتاج الرمزي للعالم المعيش، فإذا حيل بين هذه الوظائف وبين التحقق ظهرت الاضطرابات في عملية إعادة الانتاج كما نشأت كذلك مظاهر الأزمة مثل فقدان المعنى، واضطراب التوجهات ، وغياب المشروعية، وسقوط القيم، والاغتراب، والامراض النفسية وانهيار التراث>>**[15]

غير أن هذا الاضطراب في العلاقة بين تلك الوظائف وعملية الإنتاج سيفضي بالضرورة إلى أزمة تتجسد بالإضافة إلى أبعادها الإنسانية والاجتماعية والثقافية في بعد هام للغاية هو البعد الأخلاقي الذي يلعب دورا فاعلاً في منظومة هابرماس الفلسفية لأن غيابه سيجعل كل شيء في مهب الريح وفي حالة من العدمية التي يفتقد فيها الإنسان قيمة وأهدافه. ومن هنا تتأتى أهمية الأخلاق التواصلية التي تعدا حصيلة تفاهم عقلاني يفضي في حال تحقق إلى تفاهم بين جميع مكونات المجتمع وبما تحتويه تحته تلك المكونات من قيم ثقافية ومدلولات رمزية تظهر عبر وعاء اللغة التي يستخدمها الأفراد في حياتهم اليومية لتحقيق حد أدنى من التفاهم فيما بينهم في أهاب ما يطلق عليه هابرماس الأخلاق التواصلية التي تتجلى من خلال **<< التداوليات الكلية التي تخلق إطارا عقلانيا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة والتفاوض بين المصالح المتعددة وذلك كله بالتأكيد على العلاقة الضرورية بين العقلانية السياسية والمشروعية الديمقراطية، والتساؤل الدائم عن شروط الاتفاق بين ما هو ضروري عمليا وما هو ممكن موضوعيا، ويبدو أن هذه المعادلة هي التي تشكل الهم المركزي لما هو سياسي عند هابرماس ضمن تصوره العام للمفهوم المعياري للمجال العمومي>>**[16]

وهذه التداوليات الكلية التي يدافع عنها هابرماس تمهد في حال تم تبناها الأفراد، وتجذرت في تربة المجتمع– سيما وأنها لا تكون على هذه الحال مالم تحاط بإطار من العقلانية التي تقنع الأفراد بأهمية الدفاع عن تلك القيم المتبناة عقلانيا من خلال معيار الصلاحية العام الذي يقره العقلاء– فإنها تئسس لخلق حالة جدلية وضرورية بين جملة من المفاهيم السياسية التي يسعى هابرماس للإعلاء من شأنها وتبنيها بما يخلق جملة الشروط التي لا يمكن الاستغناء عنها فيما لو أراد الأفراد الاتفاق على ما هو عملي من جهة، وما هو موضوعي من جهة ثانية.

ولأن الأمر على هذا النحو، ولأن هابرماس يريد لهذه الشروط أن تتحقق من أجل ان يكون هناك إمكانية فعلية لإنتاج مجتمع سياسي تتواءم فيه الحقوق السياسية مع المفاهيم القانونية، فإن **<< المطلوب هابرماسيا هو إصلاح جدري لمفهوم الليبرالي للحقوق والقانون، كما يتطلب الأمر نسبة للفكر الجمهوري مراعاة للحقوق الأساسية ولذلك يتوجب على نظرية الخطاب والنقاش أن تسعى لتقديم منظور إدماجي أو تعديلي على الأطروحتين الليبرالية والجمهورية >>** [17]

غير ان ذلك الطموح ربما يصعب تحقيقه في الواقع لأنه حصيلة نقاش عام يقوم به الأفراد العقلاء حول أمر ويصلون من خلاله إلى اتفاق ما بحيث يضحى بمثابة المعيار العام الذي ينتجه عقل كوني هو حصيلة ضرب من العقلانية يعتد

---

[15]- الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مرجع سبق ذكره، ص 112.

[16]- حاجة، بن ناصر، الديمقراطية من الليبرالية إلى التشاورية عند يورغن هابرماس، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/102186

[17]-الأشهب، محمد عبد السلام. العدالة السياسية، مناظرة هابرماس، راولز، سلسلة ندوات ومناظرات، سؤال العدالة في الفلسفة السياسية المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، ط 1، 2014، ص 147

به، وهو ما ذهب إلى القول به كل من هابرماس ومن يدور في فلك النظرية النقدية الألمانية ك(أدورنو وهوركهايمر)* فقد **<< شاهدا مليا انهياره – أي العقل الكوني– وحلول العقل الأداتي والتوليتاري محله وبدا لهما الجاز والعمل الرتيب المضجر ومعسكر أوشفتز، الممتزجة بوقاحة منتجات لأفول الحضارة الغربية. إن اختصار الحياة الاجتماعية إلى مجرد هيمنة/ إعادة إنتاج، وإنكار الإنتاج وإبداعية الفعل قادا إلى طريق نظري وسياسي مسدود.>>**[18]

الاستنتاجات والتوصيات

ليس ثمة توصيات في سياق هذا البحث الفلسفي لأن البحوث الفلسفية تنأى بنفسها عن تقديم أي نوع من التوصيات ، وإنما يمكن أن تقدم بعض الاستخلاصات ولنتائج التي توضح وفق درجة معينة ماهي أهم نقاط القوة أو نقاط الضعف في تلك المعالجة التي قدمها هابرماس حول موضوع البنية التداولية، التي قد لا تحقق على الدوام النتيجة المرجوة منها، ولكن على الرغم من ذلك فإن الدفاع عنها ووضع شروط لها أمر لا غنى عنه في أي مجتمع يريد أفراد أن يعيشوا الحالة الديمقراطية التي تكفل لكل منهما بأن يقدم رأيه دون خوف أو مواربة الأمر الذي يفتح الباب على مصراعيه لشعور الفرد بمكانته العالية في المجتمع الذي ينتمي إليه، وهو ما يعزز إنسانيته ويشعره بالكرامة التي يستحقها والتي في غيابها تنتفي حريته ويغترب عن نفسه فيشعر إذا ذاك بأنه سليب الإرادة ، وليس له حضور فعلي في المجتمع الذي يفترض أن يكون عضوا فاعلا فيه يتشارك مع أقرانه المنافع المادية والمعنوية التي يتم إنتاجها عن طريق تعاضد الأفراد وتشاركيتهم .

المصادر باللغة العربية

1- هابرماس، يورغن، نظرية الفعل التواصلي، المجلد الأول، ترجمة فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، د، ت.

2- ----------، نظرية الفعل التواصلي، المجلد الثاني، ترجمة فتحي المسكيني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط1، د، ت،

المراجع باللغة العربية:

1- الأشهب، محمد عبد السلام، العدالة السياسية، مناظرة هابرماس، راولز، سلسلة ندوات ومناظرات، سؤال العدالة في الفلسفة السياسية المعاصرة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط المغرب، ط 1، 2014

2- حاجة، بن ناصر. الديمقراطية من الليبرالية إلى التشاورية عند يورغن هابرماس، https://www.asjp.cerist.dz/en/article/102186

3- محمد نور الدين أفاية: الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج «هابرماس» الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 1991،

***-<<وهاهو جورجن هابرماس، الوريث الأكثر شهرة لهوركهايمر وأدورنو (الذي عمل مساعدا له) قد ساهم بشكل كبير في التخلص من هذا التعريف وحيد البعد للعقل، وذلك بإدخاله بعد ثنائيا في قلب النظرية النقدية عن طريق سلسلة من الثنائيات (العقل الأداتي / العقل التواصلي، المنظومة/ العالم المعيش...)وكذلك بفتح التفكير باتجاه الديمقراطية>> ، من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية ، ترجمة إياس حسن ، دار الفرقد 2010، سوريا، ص 193**

[18]- علم الاجتماع؛ من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات. تحرير فيليب كابان – جان فرانسوا دورتيه - ترجمة إياس حسن، دار الفرقد 2010، سوريا، ص 193.

4- أبو السعود، عطيات، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مؤسسة هنداوي، المملكة المتحدة، 2021

5- علم الاجتماع؛ من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية، أعلام وتواريخ وتيارات. تحرير فيليب كابان – جان فرانسوا دورتيه –ترجمة إياس حسن، دار الفرقد 2010، سوريا.

الدوريات:

1. العلاقة بين الأخلاق القانون والديمقراطية، فلسفة الحق عند هابرماس من وجهة نظر التداولية الترانسدنتالية، كارل أوتو آبل، دورية نماء لعلوم الوحي والدراسات الإنسانية، ترجمة عبد العزيز ركح، العددان 6، 7، ربيع وصيف 2018.

Sources:

1. Habermans, J: The Theory of Communicative Action Trns. By Thomas McCarhy. Boston. Beacon Press VI. 1984. p. 99.

المراجع العربية المترجمة

Sources:

1. Habermas, Jürgen, *The Theory of Communicative Action*, Volume 1, translated by Fathi Al-Maskini, Arab Center for Research and Policy Studies, Beirut, 1st edition, n.d.
2. ----------, *The Theory of Communicative Action*, Volume 2, translated by Fathi Al-Maskini, Arab Center for Research and Policy Studies, Beirut, 1st edition, n.d.

References:

1. Al-Ashhab, Muhammad Abd al-Salam, *Political Justice: The Debate between Habermas and Rawls*, Series on Seminars and Debates, The Question of Justice in Contemporary Political Philosophy, Publications of the Faculty of Arts and Humanities, Rabat, Morocco, 1st edition, 2014.
2. Hajjah, Ben Nasser, "Democracy from Liberalism to Consultative at Jürgen Habermas," https://www.asjp.cerist.dz/en/article/102186
3. Muhammad Nour Al-Din Afaya, *Modernity and Communication in Contemporary Critical Philosophy: The Case of "Habermas"*, Casablanca, Africa East, 1991.
4. Abu Saud, Atiyat, *Philosophical Harvest of the Twentieth Century*, Hindawi Foundation, United Kingdom, 2021.
5. Sociology: From Major Theories to Daily Affairs, Scholars, Dates, and Currents. Edited by Philippe Kaban - Jean-François Dorté, translated by Iyass Hassan, Dar Al-Furqa, 2010, Syria.

Journals:

1. "The Relationship between Ethics, Law, and Democracy: Philosophy of Right According to Habermas from the Perspective of Transcendental Pragmatics," Karl-Otto Apel, *Namaa Journal for Revelation Sciences and Human Studies*, translated by Abdul Aziz Rakha, issues 6 and 7, spring and summer 2018.